

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
يدلي بحديث للقناة التلفزية الفرنسية فرانس 2

بثت القناة التلفزية الفرنسية «فرانس 2» برنامجا عن مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء استهلته بحديث أجرته مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كـ «ضيف استثنائي» في هذه الحلقة الأولى من سلسلة برامج تبثها هذه القناة بمناسبة شهر رمضان تحت عنوان «قافلة الليل».

وأبرز جلالة الملك الحسن الثاني في هذا الحديث الذي أجراه مع جلالته في المغرب منشط الحلقة السيد فريديريك ميتران . . أن المغرب بقدر ما هو متجذر في أكثر الممارسات قربا من أصول ومنابع الدين الإسلامي الحنيف بقدر ما هو متفتح على الدعوة للتسامح مع الديانات الاخرى.

ويتضمن برنامج «قافلة الليل» الذي يخرجه السيد توفيق فارس والذي افتتح بهذا الحديث مع جلالة الملك وبروبورتاج مطول عن مسجد الحسن الثاني باعتباره «أحدث الصروح المقدسة في الاسلام» سلسلة من الحلقات المخصصة على التوالي لجامع الزيتونة في تونس ومسجد مدريد باسبانيا وجامع تومبوكتو بمالي.

وفيما يلي النص الكامل لحديث صاحب الجلالة للقناة التلفزية الفرنسية:

سؤال:

يسعدنا ويشرفنا ان نستضيف في هذه الليلة الأولى من ليالي رمضان المخصصة لبرنامج «قافلة الليل» شخصية كبيرة ألا وهي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

واسمحوا لي يا صاحب الجلالة ان أعرب لكم في البداية عن تشكرات الجمهور الفرنسي بصفة عامة والمسلمين في فرنسا بصفة خاصة على تفضلكم بقبول المشاركة في هذا البرنامج.

ان سؤالي الأول يتعلق بظاهرة لفتت انتباهي كثيرا وهي أن هناك نوعا من الجهل في الغرب برسالة الاسلام وبالطريقة التي يمارس بها.

فهل يمكنكم ان تشرحوا لنا بايجاز الأسباب الكامنة وراء هذا الجهل؟

ــ جواب جلالة الملك:

أود في البداية أن أقول لكم كم أنا حريص كلما سمحت لي الظروف بذلك على متابعة برامجكم ذلك أنني أجدها مطبوعة بروح الرغبة في المعرفة ونشرها خاصة وان هذا البحث عن المعرفة يطبعه التواضع الذي لا يمكن تفسيره إلا بالحرص على احترام الآخرين.

وأود كذلك أن أشكركم على هذه المشاعر لذلك ان احدى خصائص الاسلام هي التواضع.

اما فيما يتعلق بالجواب على سؤالكم فأظن ان انعدام التواصل هو الذي جعل الجهل يلف حقيقة الاسلام والحضارة والثقافة الاسلاميتين.

ففي السابق كان علماؤكم في العصر الوسيط يأتون من أجل المعرفة لتعلم اللغة العربية ودراسة الطب

والفلسفة العربيين .

أما الآن فقد انقلبت الآية وصرنا نحن الذين نذهب للتعلم في الغرب .

وأنا على يقين من أنه لو كـان هناك انتشار أفضل لصورة الاسلام ولحضارته ورسـالته لفتح ذلك آفاقا جديـدة للكثير من الاشخاص ، ولا أدل على ذلك من هذا العـدد الكبير من المستعربين والمختصين في الدراسـات الاسلامية المعـروفين خاصة في فـرنسا . ذلك ان هؤلاء كتبـوا أشياء رائعة عن الاسـلام ولغته وثقافتـه بل ان البعض مثل ماسينيون الـذي كان معتقلا في سـوريا جددوا ايمانهم من خـلال التصوف الاسلامي .

وأظن في الـوقت الراهن ان هنـاك مـا يكفي من وسائل النشر بحيث يمكن لأي كـان ان يثير اهتمام وفضول العالم الغربي بما نسميه الفنون والثقافة والحضارة الاسلامية .

سؤال :

من بين الأفكار المسبقـة حول الديـن الاسلامي التخوف من عـدم تسامح هذه الـديانـة رغم تأكيد القرآن على أنه «لا إكراه في الدين» . فكيف التعامل مع هذا الواقع . . ؟

ــ جواب جلالة الملك :

ان الامر يتعلق هنـا ايضا بـالجهل ذلك أن القرآن الكـريم لا يتضمن هذه الآيـة وحدهـا ، بل هناك آيات أخرى في نفس المعنـى وخاصة في سورة البقرة حيث يقـول عز وجل : ((كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . .))

ومن بين تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم انه عندمـا يجد مسلم نفسه في بلد غير اسلامي ويريد ان يصلي فلا يجد مسجدا فيتعين عليـه أن يبحث عن كنيسة أو بيعة لأداء صلاته بـدل أدائها في الشارع أو في مكان عمومي .

وأعتقد ان الجهل لا يمكنه ان ينطوي إلا عن عدم التسامح .

وعلى كل حال فـإن لفظ الكرم الذي كـان مستعملا في القـرن السابع عشر كـان له في الحقيقـة هذا المعنى . فحينما يقال عن رجـل بأنه كريم فـان ذلك يعني انه كـان يعطي من فكره ولكنـه يتقبل كذلك افكـار وعواطف الآخـرين . وأعتقـد انـه ليس هناك تنـاقض بين الأمـرين وان الامـر يتعلق هنا أيضـا بالجهل .

سؤال :

ألا يتعين التـزام الحذر من مـدلول بعض الكلمات التضليلي الـذي هـو رديف للجهل . فعلى سبيل المثال غالبـا ما نفهم في صحافة الغرب ان لفظ «أصـوليين» يعني حركات تفسد رسـالـة الاسلام حسب فهمي . فهل أنا مخطىء . . ؟ وكيف يمكن استعمال لفظ «اصوليين» الذي يتردد كثيرا . . ؟

ــ جواب جلالة الملك :

من حسن حظ اللغـة الفرنسيـة أن لها كلمتين لوصف هـذه الظاهـرة : فعندكم كلمتـا «أصوليـون» و«غلاة» .

ونحن في المغرب اصوليون أي بقينا أقرب ما يمكن من أصول الدين الاسلامي الحنيف ، ولكننا لسنا بغلاة وفي المقابل فلا توجد في اللغة الانجليزية سوى كلمة «اصوليون» .

فالغلو موجود في كل الديانات وهناك حديث لرسول الله يقول :

«ان هذا الدين يسر ولن يشاد احدكم هذا الدين إلا غلبه»

اذن لماذا البحث عن غلو يمكن اعتبـاره نوعا من المازوشية بـالنسبة للفرد ازاء نفسه؟ وهي مـازوشية تتحول الى سادية وعدم تسامح تجاه الاخرين . ان الاصـولية تعني التشبث بالاصول والتشبث بالفلسفة الحقيقية للدين وفلسفتنا الاسلامية هي التسامح والتساكن وفهم الآخرين .

سؤال :

صاحب الجلالة لقـد سافرت كثيرا في المدة الأخيرة الى الشرق الاقصى واسترعى انتباهـي اننا نجد في عدد مـن المجتمعات ـ التـي تعبد عدة آلهة أو التـي تقدس آلهة من الطبيعـة ـ شخصيـات ذات سمو أخلاقي وفلسفات ممتازة . فهل الدين توحيـدي في كنهه وكيف تكون الحاجة الى الله والبحث عن الاله في حد ذاتها أمر مهم . . ؟

ــ جواب جلالة الملك :

ان البحث عن الكمال في معرفة اللـه ليس أمرا محرما لا في الاسلام ولا في النصرانيـة ولا في اليهودية . بل على العكس فهو أمر مستحب إلا أنـه لا ينبغي أن يكون إلا من أجل معرفة الله الـواحد الأحد . فما يميز الديـانات السماوية الثلاث هي أنها أولا تنحدر من حيث التسلسل التاريخي من سيـدنا ابراهيم ، وانها كلها تدعـو الى عبادة الله وحده . واللـه ليس بظالم فهو يسمح بالبحث عنـه في الكتب المنزلة وفي الكون وفي كل ما خلق .

وأعتقد انه ليس هنـاك أي تناقض بين البحث عن الله في الكتب المنزلـة وبين البحث عنه في الكون بل على العكس من ذلك تتجلى عظمـة الله في مخلوقـاته . والاكيـد ان محاولة البحث عن اللـه من باب الشرك هي بدعة تحرمها الديانات الثلاث .

سؤال :

لقد شاهـدت هذا الصباح القس بيير في التلفزة وقد استرعى انتبـاهي حماسه وتحريضه للجماهير من أجل فعل الخير. ما هو رأيكم في هذا الشخص؟

ــ جواب جلالة الملك :

إني أعرف القس بيير منذ حوالي 35 سنة لما كان برلمانيا . وقد كان متحمسا جدا ولا زال .

وانا أتتبع كل بـرامجه ونشاطـاته لأنه في نهايـة المطاف يدعـو الى اليقظة واستبـاق الاحداث والبحث المعمق الى أقصى حد لمعـرفة حاجيات الفقـراء انه يحث على الكفاح المتـواصل من أجل تحسين وضعية الانسان .

وكل هذه المبادىء هي تقليديا وتـاريخيا مبادىء دياناتنا الثلاث . وهو يقـوم بذلك بطريقته الخاصة المتميزة بالحماس وحضور البديهة واختيار العبارة المناسبة التي تكون مدوية عند الضرورة . . واعترف بأني أغبط القس بيير على الحماس الذي لا زال يتحلى به وهو في هذه السن .

سؤال :

لقد سبق لكم في إطار الحوار الأخـوي الذي فتحتموه مع اتباع الديانات الاخـرى ان استقبلتم البابا وهو حدث ذو دلالة بالنسبة لنا نحن الغربيين . فما هو تقييمكم لمدلول هذا الحدث . . ؟

ــ جواب جلالة الملك :

لقد جاء في القرآن الكريم ان عيسى عليه السلام روح وكلم الله . وبما أن البابا يمثل في شخصه كل

أتباع الـديانة المسيحية لا يسعني بصفتي سبـط الرسول وأمير المؤمنين إلا العودة الى الاصـول من خلال لقاء زعيم روحي آخر.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى في حياتي التي ألتقي فيها أحد الباباوات . فقد كان بيوس الثاني عشر هو أول من التقيت به وبعده التقيت بالبـابا مرتين احداهما في روما باسم لجنة القدس والثـانية عندما شرفنا بقدومه لأرض الاسلام للقاء اخوانه في الله .

سؤال :

ان ما كان أكثر اثارة هو حشود الجماهير التي اتت لتحيته؟

ـــ جواب جلالة الملك :

أجل لقد كانت هناك حشود غفيرة . ومرد ذلك كوننـا عاشرنا العديد من المسيحيين سواء الكاثوليك أو البروتيستـانت الـذين لا تعنينا الخلافـات الـداخلية بينهم . فعـدد من اساتـذتنـا وأطبـائنا كـانـوا مسيحيين . وعليه فان لقاء زعيم المسيحيين والكاثوليك ليس أمرا جديدا بالنسبة لنا . ومما لاشك فيه ان شخصية البابـا جذابة للغايـة ولم يسبق لأحد الباباوات ان احتل الصـدارة في الصحف والمجلات مثل البابـا يوحنا بـولس الثاني . كما أن لقاء شخصيتين بلباسهما الأبيض التقليـدي يمثلان ديانتين تـدعوان للحب والسلام كان حدثا فريدا من نوعه وهذا ما جعل الشوارع تكتظ بالناس .

سؤال :

إن أداء فريضة الصـوم يتطلب التحلي بايمان قوي واعتبارا لذلك تعتبر هذه الفـريضة متميزة من بين الفرائض الاسلامية الاخرى .

مـا هو رأيكـم في الاشخاص الـذين يجدون مشقـة كبرى في الصـوم في بلد مثل فـرنسـا حيث يسير المجتمع بوتيرة تختلف عن وتيرة الدول الاسلامية في هذا الشهر؟ .

ماذا تودون قوله لهؤلاء الذين يقومون بهذا المجهود الكبير . . ؟

ـــ جواب جلالة الملك :

أقـول لهم أولا بأن لهم أجـر عظيم ذلك لأن الصيـام زهـــد يصبح أكثـر سهـولـة حين يـؤدى وسط الجماعة .

ثانيا من الأكيـد أنه كلما توجهنا صوب الشمال إلا وأصبح النهـار أطول والليل اقصر ذلك عكس ما يعتقده البعض مع العلم ان أوقات العمل ليست مطابقة لتلك المعمول بها في الدول الاسلامية .

لهذا فإن الذين يؤدون هـذه الفريضة في مثل هذه الظروف يستحقون كل تقـدير وأنا على يقين من أن الله سيثيبهم على ذلك .

سؤال :

وبصفة عـامة يا صاحب الجلالـة ان ممارسة شعـائر دين معين إما أن تكون مواكبـة للتحولات التي تشهدهـا مختلف العصور تبعـا للاكتشـافات العلميـة ولمجموعـة من الاشياء أولا تكون . فهـل الدين الاسلامي يساير التطورات الجارية؟

ـــ جواب جلالة الملك :

في موروثنا الاسـلامي لم يسبق لنا نحن المسلمين ان وضعنَا احدا في محرقة . . ولم يسبق لنـا اطلاقا ان أحرقنا أحـدا لتخليصه من الأرواح الشريرة أو لأنه قال بان الارض تـدور . واذن فنحن متفتحون بطبعنا

ولذلك فإننا نتطور. والى ذلك فانه حتى في عهد الرسول عرف الدين الاسلامي عددا من التطورات. لقد أمر الله بقطع يد السارق وهذا عقاب كما في جميع القوانين الجنائية. ففلسفة القانون الجنائي تقوم على اعطاء العبرة لمن يعتبر لدرجة انه حتى عقوبة الاعدام لم يشرع في إلغائها إلا في غضون العقود الأخيرة. وكان الأمر الى حد الآن كالآتي من قتل نفسا وجب قتله إما بضرب رقبته أو شنقه. وبالنسبة للاسلام فانه بعد فترة وجيزة من وفاة الرسول عم الجفاف فأمر الخليفة عمر بعدم قطع يد السارق لأنه كانت هناك ظروف تخفيف. وبطبيعة الحال إذا قمنا ــ وأنا هنا أتحدث عن بلدي ـ بفعل نفس الشيء فاننا سنضع أعباء اجتماعية ثقيلة على كاهل الدولة لأننا خلقنا معدما من الناحية المادية وعاجزا من الناحية الجسمية. كما سيكون من باب السخرية ان نطلب من شخص ما ان يذهب لتقاضي معاشه لأن يده قد قطعت اذن لابد من مسايرة تطور البشرية. واذا كان من غير الجائز المساس بالفرائض فانه ينبغي التكيف مع العصر اذا كنا نرغب في التسامح الذي يعني الاخذ والعطاء فإذا كان المرء يرغب في الأخذ فان عليه ان يكون في مستوى هذا الأخذ وإذا كان يرغب في العطاء فعليه ان يتعلم الاسلوب البيداغوجي للعطاء واذن فإن الامر يتعلق بتكيف متواصل من طرف المؤمن، لكن من دون المساس بأركان الاسلام المتمثلة في الايمان بوحدانية الله وبأن محمدا عبده ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

سؤال:

جلالة الملك لقد زرنا مسجد الحسن الثاني الرائع بالدار البيضاء وأريد ان أطرح عليكم سؤالا: هل هذا المسجد الرائع هو رمز لعهد زاهر أم هل هو عمل نابع من الايمان أم هل هو تعبير عن الانتماء للأمة الاسلامية؟

ــ جواب جلالة الملك:

هو قبل كل شيء عمل نابع من الايمان وهو كذلك عربون محبة لمدينة الدار البيضاء التي كانت تبدو لي مدينة بدون اشعاع روحي. وأخيرا أنه عمل وطني ذلك انني أردت ان أظهر الان وللاجيال القادمة ان المغرب هو ذلك البلد الذي سيواصل دائما وبعون الله التشبث بما هو تقليدي وثابت مع قبول اكثر التقنيات حداثة وتسخير هذا المزيج في ذلك الطابع الذي ميز المغرب على الدوام وهو كونه صلة وصل ليس فقط بين الشرق والغرب وانما ايضا بين الأمس واليوم وغدا وهذا ما جعلني أشيد هذا المسجد.

سؤال:

هلا تفضلتم يا صاحب الجلالة قبيل وداعنا بقول كلمة الى كل من يشاهدكم من المغاربة والى كل المسلمين والفرنسيين والى كل أولئك الذين بقوا أمام جهاز تلفزتهم لتتبع حديثكم هذا.

ــ جواب جلالة الملك:

بادىء ذي بدء أقول لكافة الذين يشاهدونني مهما تكن معتقداتهم «السلام عليكم» وبعد ذلك سأطلب منهم أن يتصوروا بان عدد المسلمين في العالم يصل الى مليار ومائتي مليون، وإذا ما وجدنا ضمن هؤلاء المسلمين لنقل 0،001 بالمائة ـ وهذا على كل حال سيشكل بضعة ملايين ـ من لا يتماشى سلوكه مع بعض الشعائر الدينية الا يحكم على المليار والمائتي مليون مسلم من خلال هذه النسبة. وانني أود إبلاغ المشاهدين رسالة محبة لكون التسامح منبثق من رحم المحبة ولذلك فاننا نتمنى التسامح والاخوة ونطلب من الله نحن المسلمين ان يهدينا حتى لا نخدش قواعد حياة من نعيش بين ظهرانيهم.

20 رمضان 1414 ـ 3 مارس 1994